الأسلحة الجزائرية منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني

الأستاذ/ بدر الدين شعباني
قسم التاريخ والآثار/ جامعة قسنطينة 2

الملخص:

استعمل إنسان العصر الحجري بالجزائر عظام الحيوانات والأدوات الحجرية أسلحة للدفاع عن نفسه، ولما ظهرت المعادن ابتكر أسلحته منها، وقد طغى السيف في هذه المرحلة على جميع أنواع السلاح، واستمر ذلك الأمر حتى اختراع البارود والبندقية.

وقد حاولنا في هذا الموضوع تحديد أنواع السلاح المستعمل بالجزائر، ورصد مدى تطوره مقارنة بالأسلحة المستعملة في محيطه، وأثر ذلك على تطور الخطط والتنظيمات العسكرية.

استعمل رجل العصر الحجري القديم ما جادت به الطبيعة من أخشاب وعظام الحيوانات أسلحة للدفاع عن نفسه وفي صيد الحيوانات الضخمة لتأمين غذائه ثم سرعان ما ابتكر الفؤوس الحجرية، وصار صيد الحيوانات أسهل أيضاً لأن الصيادين باتوا مزودين بالأقواس والسهام والرماح ذوات الرأس الصواني وبقاذفات الرماح.

وكانت هذه الأسلحة على درجة كبيرة من الأهمية، لأن القوس وقاذف الرمح قد ازدادت سرعتهما بدرجة كبيرة، فاتسع بالتالي المجال الذي تبلغه الأسلحة القاذفة كما ازدادت دقتها وقدرتها على القتل، وكان الكثير من هذه الأدوات الجديدة يصنع من مواد جيدة، مثل العظم وقرن الوعل والخشب.

كما كان بالإمكان استخدام بعضها للحصول على مصادر جديدة من الغذاء بصنع خطافات وحرابين لصيد الأسماك. وقد مكن العظم أيضاً من صنع الإبر، ومازالت هناك نماذج دقيقة جداً منها تعود لثقافات الصيد الأخيرة في العصر **الباليوليتي**.

وقد كان لظهور المعادن الأثر البالغ في عملية تطور الأسلحة ذلك أن استخدام المعادن غير عالم البشر على المدى الطويل، إلا أن هذا التغيير حدث ببطء شديد مما جعل تحديد أطواره عملية صعبة، ولما ظهر المنقاش ساهم في تقدم البشر هو كذلك ضمن مناطق جديدة، خصوصاً نحو الشمال، لأنه مكّن من استخدام قرون الوعل وأنياب الماموث لصنع رؤوس الرماح والحرابين. ولأن العاج وقرن الوعل أقوى من الخشب وأكثر مرونة من الصوان، فقد كانت هذه الأدوات أطول عمراً من الأدوات السابقة.

ثم بدأ عصر البرونز في الشرق الأدنى حوالي 3000 سنة ق م، واستمر إلى غاية القرن 9 ق م وتميز بمرحلتين: الأولى تعرف ببدء المعدن حيث غلب النحاس في هذه المرحلة على جميع الاستعمالات فكانت الأسلحة تنفذ من هذه المادة ولكنها أثبتت ضعفها أمام الأسلحة البرونزية التي تعد من أسلحة المرحلة الثانية، ففي عصر البرونز تعلم البشر كيفية صهر أملاح النحاس مع الفحم النباتي لصنع البرونز ثم إعادة تشكيل هذه المادة الجديدة لصنع الأدوات والأسلحة، وقد كان هذا الأخير أفضل بكثير من النحاس، إذ يمكن أن تصنع منه شفرات أكثر حدة بكثير وأطول عمراً.

ولم يظهر الحديد إلا بعد أن كانت الحضارات قد تثبتت أقدامها كما أن استعماله لم ينتشر بشكل واسع إلا بعد عام 1000 ق م، واستمر في بعض أنحاء العالم حتى عام 500 بعد الميلاد وبداية العصور الوسطى، ومازال علماء ما قبل التاريخ يتحدثون عن "**عصر الحديد**" وثقافات عصر الحديد وهي تعابير

لا تدل على حقبة معينة من الزمن، بل على مرحلة من الثقافة المادية. ويمكننا اعتبار عصر الحديد ذروة الحقبة **النيوليتية** ونهايتها معاً، ولو أن الشعوب التي تستخدمه قد عاشت لزمن طويل إلى جانب شعوب أخرى لا تستخدم إلا الأدوات الحجرية.

ثم حكم **الحثيون** إمبراطورية كبيرة في الشرق الأدنى حوالي عام 1500 ق.م، وأظهروا أن النصر العسكري أيسر بكثير لمن يمتلك الأسلحة الحديدية، لأن السيف الحديدي أقوى بكثير من السيف البرونزي، فما بالك بالخنجر النحاسي أو الفأس الحجرية. لذا فقد أضحت الشعوب المنفذة أسلحتها من هذا المعدن أمما غالبة، وقد طغى السيف في هذا العصر على جميع أنواع السلاح كله واستمر حتى مطلع العصر الحديث.

ولأن الجزائر لم تكن بمعزل عن التطورات العالمية في هذا المجال فقد عرفت جل هذه الأسلحة التي ظهرت في العصور الأولى ولا أدل على ذلك من اللقى الأثرية لمخلفات حضارات فجر التاريخ، ولما كانت الفتوح الإسلامية لبلدان المغرب استعملت فيها أجود السيوف المصنوعة من الحديد، واستمر استعمال السيف حتى كان الانتقال بين نوعين من السلاح الأول فقد المكانة تدريجيا وهو السلاح الأبيض والثاني جاء ليحل محله وهو السلاح الناري الذي دام استعماله إلى غاية نهاية العصر العثماني بالجزائر.

ولعل ما يتبادر إلى الذهن هو التساؤل عن أنواع الأسلحة التي استعملت محليا؟ وما مدى تطورها مقارنة بالأسلحة المعاصرة لها؟ وأثر ذلك على التنظيمات العسكرية وبصورة خاصة في الجزائر؟.

أولا) – **الأسلحـــة التقليـــدية**

1) – **السيـــوف**

لقد كانت الفتوح الإسلامية لبلدان المغرب مقتصرة على أنواع من الأدوات الحربية التي شاع استعمالها بين مختلف الشعوب ويأتي على رأسها السيف، فقد كان سلاحا للفارس والراجل على السواء، وهو في الراجلين (المشاة – الرجالة) أكثر، وكان العرب لتمكنهم من استخدامه وألفهم له يقولون عن السيف: أنه يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره ويعمل عمل السلاح كله. فكانوا يطعنون به كالرمح ويضربون به كالعمود ويقطعـــون به كالسكـــين ويجعلونه سوطا ومقرعة ويتخذونه جمالا ووجاهة في الملأ وأنيسا في الوحدة ورفيقا للسائر، وقد قال (ص) مشيدا بفضله ومحببا فيه: «لا تتمنوا لقاء العـــدو ولكن إذا لقيتموه فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف[1]».

وقد اهتم الحكام والأمراء باقتناء الأسلحة كيفما كانت وبخاصة منها تلك التي توارثها الحكام عن أسلافهم أو تلك التي تعود لشخصيات تاريخية مرموقة، فقد حوت خزانة السلاح الفاطمي بين صمصامة عمرو بن معدي كرب، وسيف عبد الله بن وهب الراسبي، وسيف كافور، وسيف المعز ودرعه، وسيف أبيه، وسيف الحسين بن على بن أبي طالب، ودرقة حمزة بن عبد المطلب، وسيف جعفر الصادق، ومئات الألوف من الدروع والسيوف والقسي والرماح وغيرها [2].

(1) أحمد عادل كمـــال، الطريق إلى دمشق، دار النفائـــس، ط6، بيروت، 1986، ص ص 79، 77.

(2) زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين، دار الرائد، بيروت، 1981، ص 55. وانظر: إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1997، ص 123.

ولما ".. خرج إسماعيل المنصور إلى سوسة لم يلقه بها أهل القيروان، فسألهم عن تأخرهم وما منعهم من لقائه بسوسة فقيل له: الخوف! فتبسم وقال: إن أمير المؤمنين اختارني لهذا الأمر، وكلفني بمحاربة هذا (كذا) القوم ودفع إلي بسيف جدي «ذا الفقار» وأومي إليه وهو إلى جنبه.. [1]". ويستغرب الدكتور زكي محمد حسن كيف وصل هذا السيف إلى يد الخلفاء الفاطميين، فهذا السيف المشهور غنمه النبي (ص) في وقعة بدر بعد أن كان ملكا لعربي من المشركين اسمه نبه بن الحجاج، وقد ذاع صيت هذا السيف حتى قيل لا سيف إلا ذو الفقار، وهي العبارة التي نراها منقوشة على السيوف الأثرية.

وبعد وفاة النبي (**ص**) آل هذا السيف إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم إلى الخلفاء العباسيين من بعده، ووصل أخيرا إلى الفاطميين[2]. وإن كانت تعوزنا الصور عن السيوف المستعملة بالجزائر في العهد المرابطي والموحدي إلا أن المصادر تذكر أن جيوشهما استعملت السيوف ذات النصال الهندية.

ويروى أن عبد المومن الكومي كان متى استقر رأيه على خوض المعركة، فإنه بعد استعراضه الجند، وبعد أن يتم ترتيبهم للقتال، يضرب قبته الحمراء، يخفق عليها علمه الأبيض، ويستحضر فرسه المطهمة، ثم يرتدي ثوب عبد المومن الحربي، ويجلس في خيمته على درعه، وفي إحدى يديه سيفه المسلول، وفي الأخرى المصحف؛ وكانت هذه نذر اقتراب المعركة [3].

---

(1) أبي عبد الله محمد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 35.

(2) زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 54.

(3) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد الموحدين والمرابطين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1996، ص 245.

وتنفرد الفترة العثمانية بكثرة الصور للسيوف المستعملة بالجزائر ممثلة في اليتطغان التركي والنمشة المغربية، والفليسة الجزائري، هذا الأخير الذي يصنف إلى نوعين: الأول خصص للمشاة والثاني للخيالة.

2) – الرمـــــاح

الحربة أو الرمح عبارة عن قناة من قصب الزان أو الخشب ركب فيها سنان من الحديد، وهو سلاح الفرسان والمشاة على السواء، وهو في الفرسان أنسب من السيف، وكان يعرف باسم المزراق لدى المغاربة وهو على نوعين:

- الحراب أو القني الطوال للمداعسة والطعان.
- المزاريق (للرمي)، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ.

التدرب على المبارزة بالسيف والترس

صورة مأخوذة عن: مخطوط المخزون لأرباب الفنون

التدرب على المبارزة بالرمح ممتطيا ظهر الفرس

صورة مأخوذة عن: مخطوط المخزون لأرباب الفنون

وقد كان الفرد يتدرب على هذا النوع من السلاح راجلا وراكبا، كما كان يتدرب على إصابة الأهداف بدقة لأغراض الحروب، ففي أيام عبيد الله قتل (الخليفة) المقتدر ببغداد في الحرب التي بينه وبين مؤنس الخادم، وقد كان الذي قتله رجل من أهل البربر يقال له (غلبون الصنهاجي) رماه بحربة وهو على فرسه بين الجند في ظهره فخرجت من صدره فوقع ميتا [1].

وكان ترتيب المعركة عند المرابطين يقوم على نظام خماسي يتقدم الجيش الجند المشاة، ووحدات الفرسان الخفيفة، وحملة القسي، وحملة النبال، ويرتبون في الجناحين، ويتكون القلب من وحدات الفرسان المرابطية الثقيلة، وهي التي كان لها على الأغلب القول الحسم في المعارك، ومع أن قوتهم الأصلية

(1) أبي عبد الله محمد الصنهاجي، نفس المصدر، ص 28.

كانت تقوم على الفرسان فإنهم كانوا يقدمون في الصف الأول أشجع جندهم المشاة، يتقلدون الحراب الطويلة، ويغرسونها في الأرض [1].

ثم تطور الأمر على عهد عبد المومن الكومي حيث أنشئت المدارس الحربية كي تحفظ الروح العسكرية بين الموحدين وتعاون على إخراج القادة الأكفاء والمحاربين البواسل، فكانوا يتدربون على استعمال جميع صنوف السلاح وفنون الركوب والسباحة، ويدرسون ما تعلق بالحصار والبحر والقتال، وكانوا يتبارون في السباق ورمي الحراب، والقتال بالقوس والدروع، والركوب والسباحة.

وكان المشاة من جند الموحدين يحشدون بالأخص من القبائل البربرية، ويحملون حرابا طولها اثنتا عشرة قدما، وتسمى "الأمراس"، يلقونها في وجوه أعدائهم بمنتهى العنف. وكان عبد المومن يقود القوات الاحتياطية المكونة من صفوة جنده بنفسه، ولاسيما جند الحرس الخاص، والتي كثيرا ما كانت تحرز النصر بشجاعتها وخبرتها؛ وقد كانت هذه القوات تمتنع أحيانا داخل دائرة من السلاسل الحديدية، تبرز منها الحراب الطويلة، فتتخن بذلك في العدو قتلا[2].

3) – القــوس والنشــاب

القوس آلة لقذف النشاب – السهام – ذات النصال مثلثة الأركان ويقال نزعت في القوس أي رميت بها، والنزع هو الرمي، ويقال رجل شديد النزع يعني بعيد الرمي .. وكلما كانت القوس لينة مرنة كلما كانت أشد نزعا، وتلين القوس كلما زادت كمية الرطوبة فيها وتيبس بقلتها. ولذلك كانوا

(1) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 235.

(2) نفس المرجع، ج2، صفحات 243 و246 و248.

يتركونها بعد قطعها من شجرها في الظل لتتشرب ماء اللحاء، وقد تصل مدة بقائها الحولين [1].

وروى بكر بن عبد الله الأنصاري عن النبي (**ص**) أنه قال: (علموا أبناءكم السباحة والرماية، ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك)، فكان المقاتل يتدرب منذ نعومة أظافره على الرمي الصائب للهدف ومن مختلف الوضعيات لبلوغ القوة مصداقا لقول الرسول الكريم(**ص**): (ألا إن القـــوة في الرمي، ألا إن القـــوة في الرمي، ألا إن القوة في الرمي). وتعددت القسي فمنها قسي الرجل وتوْتر بدفع الرجلين لها، وتصنع عادة من خشب التخش، ومنها القسي لرمي قوارير النفط، وتصنع من خشب الصنوبر [2].

وقد كانت الأقواس الفاطمية تعمل من خشب السنديان وتدعى قسي الزيّار، وهي أشد القسي رميا وأعظمها جرما وأنكاها سهما، وتنصب عادة على الأبراج وما شابهها، ومنها القوس العقّار والجرخ، وهما دون الزيّار في القوة، ويجذب وترهما بلولب [3].

أما عبد المومن فقد أنشأ مصانع للسلاح في كثير من قواعد مملكته، فصنع فيها القسي والنشاب والخوذات والدروع والسهام، وغيرها من الأسلحة اللازمة للهجوم والدفاع، وفي بعض الروايات أنه كان يصنع في مملكته كل يوم عشر قناطير من السهام [4].

---

(1) أحمد عادل كمـــال، المرجع السابق، ص 84.

(2) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ج1، مؤسسة شباب الجامعة، 1993، ص 141.

(3) نفس المرجع، ص 142.

(4) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 58.

التـــدرب على وتـــر القوس باليـــد وبالرجـــل
والرمي بالنشـــاب بمختلف أنواعه ومن وضعيات مختلفـــة
راكبـــاً وراجـــلاً

صور مأخوذة عن: مخطوط المخزون لأرباب الفنون

– التـــابوت والمخـــلاة

ظهر في العهد الفاطمي ما يعرف بالتوابيت وهي صناديق منفتحة من أعلاها تتزود بها السفن الحربية لتنصيبها أعلى السواري، يصعد إليها البحريون ومعهم قطع من الحجارة يضعونها في مخلاة تعلق إلى جانب التابوت ويرمون بها الأعداء، ثم يحتمون في التوابيت وقد يحملون معهم قوارير من النفط، أو جرار النّورة يرمون بها في مراكب العدو فتعمى الرجال بغبارها[1].

أما في العهد المرابطي فلم تذكر المراجع المطلع عليها حتى الآن هذا النوع من التسلح لتظهر مرة أخرى في الجيش الموحدي حيث استخدمت في

(1) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص 142.

جيش المشاة، فكانت المخالي ومفردها مخلاة عبارة عن كيس من القماش أو غيره تجهز بالحجارة لرمي الأعـــداء [1].

ويذكر ابن الخطيب على لسان بن اليسع قال: " .. حدثني غير واحد من الموحدين قال لما نزلنا من جبل زناتة يريد بلاد زناتة اتبعنا المرابطون فتلاقينا معهم قال فصنعنا دارة مربعة في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال والطوارق المانعة ووراءهم أصحاب الدروق صفا ثانيا من ورائهم، ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ووراءهم الرماة لقوس الرجل وفي وسط مربعة الخيل فكانت خيل المرابطين إذا دفعت إليهم لا تجد إلا الرماح الطوال الشارعة والحراب الحجارة والسهام ياسرة .."[2].

4) – الـــــدرع (الســـرد)

هو القميص المتخذ من الزرد – أو السرد – وتنسب إلى فرعون مصر فيقال فرعونية، كما تنسب إلى داود وسليمان عليهما السلام، والسرد هو حلق الحديد، وكان داود عليه السلام أول من صنع الدرع من الحلق المتضافر، وقد لبس رسول الله (ص) الدرع في الحروب، وكان له درع اسمها البتراء كانت على الحسين يوم قتل، والدروع نوعان:

نوع عبارة عن صفائح صلبة من حديد تثبت بالقميص فتبدو كفلـــوس السمـــك ونوع من دروع الصفائح ذو صفائح كبيرة وتتحرك مع المفاصل بمفصلات، وهناك نوع آخر من الحلق المتضافر المتداخل بعضه في بعض، بحيث يصد السيف والسهم والرمح فلا تنفذ منه. وكلما كان الدرع

---

(1) سالم أبو القاسم سالم غومة، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من (451 – 668 هـــ/ 1059 – 1269 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الفاتح، ليبيا 2003 – 2004، ص 68.

(2) محمد لسان الدين بن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، عني بتصحيحه: البشير الفورمي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس 1329 هـــ، ص 98.

أقوى استعصى خرقه أو النفوذ فيه، وكلما خف وزنه مع هذا كلما كان هذا أفضل وأجود ولذلك يعتبر الدرع المزرود من الحلق المتضافر أفضل من درع الصفائح، وقد سلح الموحدون جندهم بالسيوف مع تقلدهم للدروع الكبيرة المستديرة [1].

5) – التـــروس والـــدرق

المِجنْ والترس، والدرقة، ثلاثة أسماء لمسمى واحد، وهو ما يعمل من الجلود بلا خشب ولا ظهر يتقون به وقع السيوف على أبدانهم، ويحملونها على أذرعهم [2]. ويتم صناعتها من جلد بعض الحيوانات، مثل البقر أو الإبل وأحيانا تصنع من الخشب، وتنقش في الغالب عليها عبارات دينية لتزيد من زينتها، مثل: (لا غالب إلا الله)، و(لا إله إلا الله). ولقد كان الترس عند الأندلسيين عبارة عن صفحة من الفولاذ مستديرة الشكل، ويتم حملها باليد لتلقي ضربات السيوف، والتروس لها عدة أشكال منها: المسطح والمستطيل، والمخصر الوسط، والمقبب المنحني الأطراف إلى الخارج.

واشتهرت البلاد المغاربية بالدرق اللمطية التي لا شيء أبدع منها ولا أصلب منها ظهراً ولا أحسن منها صنعاً، صنعت من جلد حيوان يقال له اللمط يصل طولها ثلاثة أذرع، وهي خفيفة لينة لا ينفذها النشاب، ولا يؤثر فيها السيف، وهي من أحسن الترس، مبسوطة كالرغيف وتستر الفارس وفرسه، فكان أهل المغرب يقاتلون بها لحصانتها وخفة محملها [3].

---

(1) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 245.

(2) أحمد عادل كمـــال، المرجع السابق، ص ص 88 – 90.

(3) إبراهيم عبد الله، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، 2007، ص 669.

يعيش حيوان اللمط بمنطقة لمطة وهو مثل الثور الكبير تطول له قرنان كالرماح تطول بطول بدنه ممدودة على ظهره، إذا طعن بها الحيوان أهلكه في الحال، عريض العنق يتخذ من جلده تراس يقال لها الدرق اللمطية.

وقد ظهرت هذه الدرق قبيل الفترة الفاطمية، واشتهر بها المرابطون والموحدون على الخصوص، وهي تراس تصنع من جلود لا خشب فيها بمدينة نول لمطة الصنهاجية، وكانت هذه المدينة كبيرة عامرة على نهر يأتي إليها من جهة المشرق وعليه قبائل لمتونة ولمطة، وبهذه المدينة قوم يصنعون السروج واللجم [1].

6) – الكلاليـــب والباسليـــقات

الكلاليب نوع من الخطاطيف الحديدية كان يستخدمها البحريون للرمي على مراكب العدو لجذبها وشدها، والعبور إليها عن طريق ألواح خشبية أو سلالم من الحبال لمقاتلة ملاحيها، وقد اختير لهذه المهمة الأشداء من الرجال. أما الباسليقات فسلاسل تنتهي عند رؤوسها برمانة من الحديد كانت تستخدم في القتال على سطح السفن [2]، فلا يلقي الواحد منهم هذه السلاسل على شيء إلا أهلكته.

7) – الهـــراوات

وهي من أسلحة الالتحام فارسية الأصل استنسخها فيما بعد أهل المشرق برمته، وحتى سكان أوربا الشرقية [3]، وكانت الهراوات مزدوجة الوظيفة، فبالإضافة لكونها سلاح التحام فهي تمثل شعارا للدولة ورمزا للقوة عند البحارة المقاتلين [4]، فهذا النوع من السلاح لا يحمله إلا الأقوياء من الرجال شديدي البأس، وكانت معظم هذه الأسلحة مركبة من معدن واحد إما

---

(1) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبوعات عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، مج.1، ص 224.

(2) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص 141.

(3) ARBOUSSE BASTID (T) ET SENTIER (B), Arts et Arme d'Orient, Musée du Souvenir Coëtquidan, 1996, p 107.

(4) نفس المرجع، ص 105.

الحديد أو الفولاذ، وأحيانا تكون ذراعها خشبية، غير أنها غالبا ما تصفح جزئيا بمعدن آخر كالشّبّـــة (النحاس الأصفر) مثلا، أما الرأس فدوما معدنية، وتعددت الهراوات فمنها:

أ) ـــ اللتـــوت والدبابيـــس:

وهي عمد من الحديد، لها رؤوس مستطيلة الشكل مضرسة، مصنوعة أيضا من الحديد، وقد تكون مقابض هذه اللتوت من الخشب المحكم التدوير، ولكن خرزتها تكون في هذه الحالة من الحديد، وتلبس في المقبض، وقد تضرس تدويرة الخرزة أو تسنن.

أما الدبابيس فلا تختلف عن اللتوت إلا في رؤوسها، فهي مدورة مضرسة [1]، كانت تصنع منذ القدم قطعة واحدة من نفس المعدن في شكل هراوة أو دبوس يطلق عليها اسم "البزدغان - Bozdogan " في تركيا، أما مماليك مصر فتسميها " الدبوس – Dabbous " [2]، وقد حرفت في عاميتنا إلى " الدبوز"، أما الفرس فيطلقون عليها اسم " الغرز – Gourz ".

ب) ـــ المستوفيـــات والفـــؤوس

المستوفيات عبارة عن عمد من الحديد مربعة الشكل طويلة يبلغ طول العمود منها ذراعان، وله مقبض مستدير، وتستخدم هذه الأسلحة في تهشيم الخوذات المعدنية. أما الفؤوس فسلاح له رأس نصف مستديرة مبطّطْ حاد النصل، ومقبضه خشبي مستدير يتخذ أحيانا من الحديد، وتسمى الفأس كذلك البلطة وأصل التسمية تركي ويسميها الفرس الطبر[3].

---

(1) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص 140.

(2) ARBOUSSE BASTID (T) ET SENTIER (B), Op. Cit, p 105.

(3) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص ص 140 - 141.

ومن آلة الحرب أيضا البيضة، وهي ما يلبس في الرأس مثل الخوذة من الحديد، والمغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

صورة للجيش المرابطي متقلدا مختلف الأسلحة

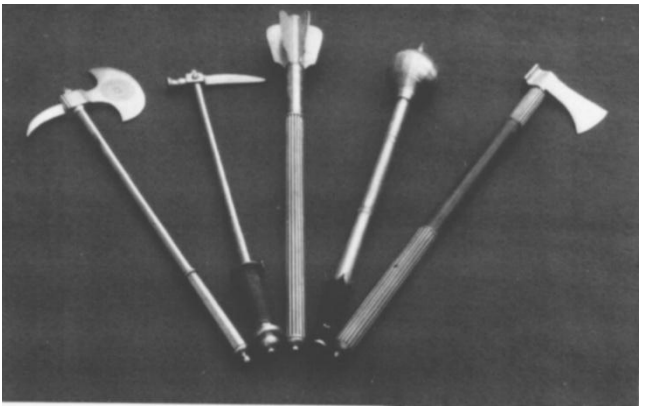

ثانيا) – مـــرحلـــة التطـــــور

1) – آلات الحصـــــــار

أ) – المنجنيـــق والعـــرادات

المنجنيق آلة لرمى الحجارة وهي نوعان: المقلاعي، والمنجنيق ذي الكفة، والعرادات أصغر منها، وهما من آلات حصار الحصون برا، أما بحـــرا فإن المنجنيق عبارة عن آلة خشبية ذات دفتين قائمتين بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، «ما أصاب شيئا إلاّ هلكه، ويلحق بالمنجنيق اللوالب والحبال التي يجذب بها».

وقد أخذه العرب عن الفرس بعد الإسلام، كما عرفه اليونانيون والفينيقيون والإسرائيليون قديمان، وكانت السفن تتسلح كذلك بالعرادات، ولنا في قصيدة ابن هانئ الأندلسي، غنى في وصف أسلوب عمل هذه الآلات عند وصفه أسطول المعز لدين الله [1].

(1) صابر محمد دياب، سياسة الدول الفاطمية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1973، ص 108. أنظر قصيدة ابن هانئ في وصف أسطول المعز لدين الله في: ديوان ابن هانئ الأندلسي، شرح وتقديم: عمر الفاروق الطباع، ط1، دار الأرقم، بيروت 1998، ص 103.

أما عبد المومن الموحدي فقد كان على علم راسخ بفنون الحصار، وكان يستولي على أشد المدن حصانة بما يبنى وفق رأيه من آلات الرمي وخرق الأسوار (المنجنيقات) [1].

ب) - **الـــدبابـــات**

كانت من وسائل الحصار أيضا الدبابات، وهي عربات كانت تصنع من الخشب المكسو بالجلد يدخلها الرجال ويقتربون بها من جدران الحصون حتى تلتصق بها لينقبوها، وهي تحميهم من سهام عدوهم وحجارتهم وزيتهم المغلي ونيرانهم، وكانت أحيانا لا تفي بتوفير الدفاع ضد جميع هذه الأنواع من المقاومة والأساليب المضادة.

وقد كانت أول دبابة صنعت في الإسلام دبابة صنعت في حصار الطائف حيث ذكر ابن إسحاق في سيره:" حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابةٍ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً.

فالدبابة إذن بيت صغير يعمل من جلود الإبل والبقر، تعمل لنقب الحصون يدخلها الرجال فينقبون من داخلها، ويكون سقفها حرزاً لهم من الرمي [2].

وقد استعملت هذه الآلات الحربية بتفاوت بين دول المغرب الإسلامي، فقد كان الموحدون يتفوقون كثيرا على المرابطين في فن الحصار، وكانت أمنع المدن تتحطم أمام آلات الحصار والقذف التي يستعملونها؛ وكان

---

(1) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 58.

(2) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية له (ص) من الحرف والصنائع والعمالات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1985، ص 495.

عبد المومن بنوع خاص أستاذا في هذا الفن الحربي؛ وكان يستعين بتأييد العناصر، حيثما عجزت شجاعة الجند وآلات الحصار؛ ففي حصار فاس التي قاومت أسوارها المنيعة كل جهوده، استعان على إسقاطها بمياه النهر، وذلك بأن سلطها على المدينة بعد أن حجزها حينا في خزانات كبيرة، ثم أطلقها فجأة في مجاري صناعية على أسوار المدينة؛ وأحرق وأسقط أبراج وهران بواسطة نار محرقة يؤيدها قصف الآلات؛ وافتتح المهدية بوسائل مماثلة، وحطم جدرانها التي بلغ من كان يسير عليها فارسان متجاوران [1].

2) – النفـــاطـــة والبـــارود

تطلق كلمة نفط في العربية على صفوة قار (الزفت أو القار) وهو مادة البيتومين (Bitumen)، من خصائصه اجتذاب النار عن بعد دون أن يمسها مباشرة، وقد عرف قديما تحت اسم "النّار الإغريقية"، وهي مزيج سائل من قطـــران وكبريت ومـــواد أخرى مختلطة شديدة الالتهاب تضرم النار في كل شيء، واحتفظ هذا المستحضر الجديد باسم "النفط"، ويتولى متخصص يعرف بـــ "النفّاط" أو "الزّرّاق" إطلاق هذه النار الإغريقية على هيئة النفث متوسلا إلى ذلك بأنبوبة خاصة من النحاس أو الحديد هي الـــ" نّـــفاطـــة " أو " الزّرّاقة " أو " المكحلة "، وهذه الآلة هي الأصل في قاذفات اللهب اليوم.

وقد كان البارود بادئ الأمر عبارة عن مادة تدخل في تركيـــب "قوارير النفط"، وهي قذائف تستخدم في الحروب البحـــرية، واستعملت كذلك كمـــرادف لـــ" مكاحل البارود " ويمكن أن يستدل من الكلمة في هذا الموضع على أنها تشير إلى مركب من ملح البارود له قوة دفع [2].

---

(1) يوسف أشباخ، نفس المرجع، ج2، ص 246.

(2) كولان، البارود عند المسلمين، كتب دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: إبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، وحسن عثمان، ط1، بيروت، 1984، ص ص 12 - 18.

كما أنه استعمل للإحراق شأنه شأن المواد الأخرى الملتهبة كالفحم والكبريت، ثم اكتشف فيما بعد أن له خاصية الانفجار، فاستخدم في قذف القذائف، فالبارود هو العنصر الأصلي في تركيبات النفط في الحالتين، ولهذا استعمل مرادفا لكلمة نفط، ثم كانت له غلبة التسمية في النهاية في العصور الحديثة [1].

وقد كان للفاطميين مكاحل البارود أو المدافع التي تقذف بقذائف مشتعلة بالنفط «وحالها مختلف فبعضها يرمي عليها بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعضها يقذف عنه ببندق زنة عشرة أرطال بالمصري، ما يزيد عن مئة رطل [2]».

أما الموحدين فقد استولوا على كثير من القلاع الأندلسية وسقطت في أيديهم تلك "القلاع الواقعة في أصعب المنحدرات والمفاوز الجبلية بفضل آلات حصارهم العنيفة التي كانت تقذف كتلا هائلة من الحجارة، وكرات ملتهبة من الحديد. وليس في وسعنا إلا أن نقول بطريق التحقيق أن هذه الآلات كانت مدافع، وإن الموحدين كانوا قد عرفوا البارود يومئذ؛ بيد أنه يحتمل أن تكون هذ هي الحقيقة"[3].

وفي القرن الثالث عشر نقل خلفاء عبد المومن استعمال البارود من إفريقيا إلى إسبانيا [4].

---

(1) أحمد مختار العبادي، "البارود والأسلحة النارية في دولة المماليك"، في مجلة اسبريس 1959، ص 270.

(2) صابر محمد دياب، المرجع السابق، ص 108.

(3) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 246.

(4) نفس المرجع، ج2، ص 58.

3) – المـــدافع والمـــكاحـــل

شاع على عهد الفاطميين ثم المماليك عدة أنواع من الأسلحة الفردية الهجومية كالطبر...إلخ، ولعل أهم ما يميز هذه الفترة هو ظهور النماذج الأولية للأسلحة العاملة بأسلوب الدفع الذّاتي، لتظهر ثنائية المدفع والبارود، وهو الموضوع الذي بقي مبهما في كتب التاريخ خاصة كتابات الغربيين والمستشرقين منهم، والأمر المؤسف أن نجد من مؤلفينا من حذا حذوهم ونقل ما كتبوه دون تميز أو تمحيص، يقول كولان:

".. ويذكر العمري المتوفى سنة 748هـ (1348م) في كتابه التعريف طبعة 1312 هـ كلمة البارود مرتين، يتكلم في الأولى عن مادة في تركيب (قوارير النفط)، وهي قذائف تستخدم في الحروب البحرية، ويتكلم في الأخرى عن (مكاحل البارود)، ويمكن أن نستدل من الكلمة في هذا الموضع على أنها تشير إلى مركب من ملح البارود له قوة دفع .. ومن ثم يصعب علينا أن نعين على وجه الدقة تاريخا أو بلداً اتخذ فيه حشو المدافع اسم العنصر الأساسي في هذا الحشو.

ففي الأندلس وقع التغير في معنى الكلمة في غضون النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، حين أصبح حشو المدافع هو (البارود)، ونترات البوتاسيوم هي (ملح البارود). أما النفط (وتجمع على أنفاط) فصارت اسما للمدفع، وأصبح (النّفّاط) هو المدفعي (أنظر: DOZY: .suppl، هذه المواد).

وبهذا المفهوم الجديد لحشو المدافع ذاعت كلمة (بارود) في طول البلاد المتكلمة بالعربية وعرضها، ..."[1]، أما في موضع آخر من نفس الكتاب فإنه يشكك في كون المعلومات التي قدمها ابن خلدون صحيحة، حيث يقول:" وهذه المعلومات الدقيقة هي لسوء الحظ، مشكوك فيها بالنسبة لهذا الزمن

(1) كولان، المرجع السابق، ص ص 17 – 18.

المتقدم."[1]، ولقد رجعنا لآخر طبعة حصلنا عليها لتاريخ ابن خلدون للتحقق من مدى صحة نسبة المعلومات إليه قبل تحقيق مضمون هذه المعلومات، وجاء فيها ما يلي:

"فوجه عزمه [السلطان أبي يعقوب المريني] إلى انتزاع سجلماسة من أيدي عبد الواد المتغلبين عليها وإدالة دعوته فيها من دعوتهم، فنهض إليها في العساكر والحشود في رجب، في سنة اثنين وسبعين وستمائة فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع من زناته والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرّادات ، وهندام النفط

أنواع من القوارير تجهز لتلقى بعد ملئها بمواد كيميائية محرقة

صور مأخوذة عن: مخطوط المخزون لأرباب الفنون

(1) نفس المرجع، ص 25.

موقعــة الزلاقــة يوم 09 رمضان 479 هــ/ 1086 م
ظهــور الدرقــة اللمــطية والمكحلــة بأيدي المحــاربين

القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها"[1].

والحقيقة أن النفط هو الاسم الذي عرف به البارود عند المسلمين، وجرب لأول مرة سنة 1232م في حصار فونغ-فو الصينية، وبعده بثمانية أعوام على المعركة أصدر: "أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي المكنى بابن البيطار " مخطوطة ذكر فيها نترات البوتاس أو " زهرة حجر العسوس " وكانت تسمى في عهده "بالثلج الأبيض" عند المصريين والبارود عند العرب[2].

(1) ابن خلــدون، تاريخ ابن خلدون، اعتنى به، أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ص 1916.
(2) الموسوعة العسكرية، تأليف جماعي تحت رئاسة، المقدم: الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، بيروت،1977، ص 165.

وقد عرف المسلمون ملح البارود عن الصينيين، وهو في حالته الطبيعية فأطلقوا عليه اسم " الحجر الصيني "[1]، غير أنه في حالته هذه يكون مادة خاما مليئة بالشوائب، فقاموا بتحضيره كيميائيا في المخابر بتنقيته من الشوائب الطبيعية حتى تكون له قوة دفع وأطلقوا عليه اسم "مستنبط "(Mustanbat) نترات البوتاسيوم، والمستنبط هو الاسم الذي أطلقه الكيميائيون المسلمون على جميع الأملاح الصناعية[2]، وكان يعرف كذلك باسم " البارود الأسود الخام ".

وسمي بالبارود لأنه قابل للاشتعال عند التسخين أو ملامسته النار، واكتشف المسلمون أن الاستعمال السريع للكبريت مع الفحم يولد كمية هائلة من الغازات دفعة واحدة، فأرادوا أن يستفيدوا من هذه الخاصية باستعمالها كقوة دافعة فوضعوا عليها نسبة معينة من ملح البارود كعامل وسيط للاشتعال، وهي الخاصية المستعملة في المدافع والبواريد حتى نهاية القرن 19م[3].

وأقدم ما توصلت إليه البحوث التي أجريناها حول النماذج الأولى للأسلحة النارية (ذات الفوهة)، تعود إلى الفترة الفاطمية، حيث جاء في قصيدة ابن هانئ شاعر المعز لدين الله الفاطمي ما يلي:

من القادحات النار تضرم للطُّلى فليس لها يوم اللّقاء خمود
إذا زفرت غيضا ترامت بمارجٍ كما شبّ من نار الجحيم وقود
فأنفاسهن الحاميات صواعق وأفواههن الزافرات حديد

(1) أحمد شوقي الفنجري، " تاريخ ما أهمله التاريخ، البارود والمدافع ... إختراع عربي " في مجلة الفيصل، عدد 112، جوان – جويلية 1986، ص 111.

(2) نفس المرجع، ص 112.

(3) أحمد شوقي الفنجري، المرجع السابق، ص ص 111- 112.

وتفسير هذين البيتين من الشعر يعطينا نفس ما ذكره ابن خلدون، فالقادحات مؤنث القادح، من قدح بالزند محاولا إخراج النار منه، تضرم أو توقد للطُّلى مفردها طلاه، وهي العنق وبتعبيرنا اليوم سبطانة المدفع وهو نفس المفهوم الذي تقوم عليه النماذج الأولى للمدافع حيث كانت تسك كتلة معدنية واحدة يجوف قلبها لتكوين السبطانة وحجرة الانفجار أو الخزنة النارية [1]، أما المارج فهو اللَّهب الساطع المتولد من الاحتراق السريع للبارود [2]، وتعبر بقية الأبيات عن نفسها.

وفي أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر شاع بين مسلمي إفريقيا استعمال الآلات القاصفة التي تقذف الكرات الملتهبة؛ ووصف هذه الآلات لا يدع مجالا للشك في أن هذه الكرات كانت تقذف بواسطة البارود [3].

وإذا علمنا أن صناعة الأسلحة وتشكيلها تخضع لعدة تعديلات وتحسينات متتالية كلما تقدم بها الزمن، وأن هذا الأمر ينطبق على تقنية صناعتها كما ينطبق على تقنية زخرفتها حتى تمنح النجاعة والمظهر الجمالي اللائق، فإن تطور السلاح المذكور إلى ما وصفه ابن خلدون يكون منطقيا، خاصة وأن ابن هانئ الأندلسي قد سبق التاريخ المذكور عند ابن خلدون بقرنين من الزمان، وهذا في عرف الأسلحة شيء عادي، فقد ظهر مبدأ الحلزنة (الششخنة) مثلا، مع مطلع القرن 16 م واستمر قيد التجربة على مختلف بنادق

(1) ونترنغهام وبلاشفورد – سنل، الأسلحة والتكتيكات، ترجمة: المقدم بسام العسلي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص 120.

(2) ديوان ابن هانئ، المرجع السابق، ص 103.

(3) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 247.

الصيد، حتى اعتمد في الأسلحة الحربية في منتصف القرن 19م[1]، لذا فقد يعيش السلاح فترة زمنية طويلة قيد التجربة إلى غاية اعتماده كسلاح نموذجي في جيش ما، كما أن البنادق الفرنسية بقيت تحت التجربة منذ سنة 1717م إلى أن اعتمد أنموذج 1777 في الجيـــش الفرنسي[2]، وكذلك الكتابة في هذا المجال لا تتم إلا بعد أن يثبت السلاح نجاعته في الميدان، وبالتالي فإن ما كتبه ابن البيطار بعد ثمان سنوات من حصار فونغ- فو الصينية، يكون قد جاء بعد سنوات لا يعلمها إلا الله من العمل بهذه المادة أي استعمال البارود.

وأخيرا نقول أن المغرب الإسلامي عامة والجزائر بصورة خاصة لم تكتف في هذه المرحلة التاريخية بمواكبة عصرها فقط فيما تعلق بالأسلحة بل كانت السباقة إلى التطوير والإبداع، بفعل التطور العلمي الذي عرفته حضارتها، وبصورة خاصة في مرحلة القرون الوسطى، ولعل التاريخ يشهد لصالحنا فيما نحن بصدد تدوينه، وما هذا العمل سوى حجرة زاوية في بناء لم يكتمل بعد في مجال تطور الأسلحة الجزائرية في بعدها المغاربي والإسلامي، نأمل أن نتم عمارته أو يأتي من يواصل بناء هذا الصرح والله المستعان.

---

(1) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، الشعب ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، (صورة طبق الأصل عن طبعة 1965)، ص 409.

(2) TAVARD(CH.H), Le Livre des Armes et armures de L'antiquité au grand siècle, Milan-Italie, 1977.

المصـــادر والمـــراجـــع

المـــراجـــع العـــربيـــة

(1) أبي عبد الله محمد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

(2) ابن خلـــدون، تاريخ ابن خلدون، اعتنى به، أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

(3) إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1997.

(4) إبراهيم عبد الله، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، 2007.

(5) ابن هانئ الأندلسي، ديوان ابن هانئ الأندلسي، شرح وتقديم: عمر الفاروق الطباع، ط1، دار الأرقم، بيروت 1998.

(6) أحمد عادل كمـــال، الطريق إلى دمشق، دار النفائـــس، ط6، بيروت، 1986.

(7) أحمد مختار العبادي، " البارود والأسلحة النارية في دولة المماليك"، في مجلة اسبريس 1959.

(8) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ج1، مؤسسة شباب الجامعة، 1993.

(9) أحمد شوقي الفنجري، " تاريخ ما أهمله التاريخ، البارود والمدافع ... إختراع عربي " في مجلة الفيصل، عدد 112، جوان – جويلية 1986.

(10) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية له (ص) من الحرف والصنائع والعمالات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1985.

(11) زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين، دار الرائد، بيروت، 1981.

(12) سالم أبو القاسم سالم غومة، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من (451 – 668 هـــ/ 1059 – 1269 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الفاتح، ليبيا 2003 – 2004.

(13) صابر محمد دياب، سياسة الدول الفاطمية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1973.

(14) كولان، البارود عند المسلمين، كتب دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: إبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، وحسن عثمان، ط1، بيروت، 1984.

(15) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبوعات عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، مج.1.

(16) محمد لسان الدين بن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، عني بتصحيحه: البشير الفورمي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس 1329 هـــ.

(17) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، الشعب ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، (صورة طبق الأصل عن طبعة 1965).
(18) الموسوعة العسكرية، تأليف جماعي تحت رئاسة، المقدم: الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، بيروت،1977.
(19) نصر الدين ابن الطرابلسي، كتاب المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح وبنودها (986هـ / 1578م)، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم 2826، 112 ورقة.
(20) ونترنغهام وبلاشفورد – سنل، الأسلحة والتكتيكات، ترجمة: المقدم بسام العسلي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.
(21) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد الموحدين والمرابطين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1996.

المـــراجـــع الأجنبيـــة

(1) ARBOUSSE BASTID (T) ET SENTIER (B), Arts et Arme d'Orient, Musée du Souvenir Coëtquidan, 1996.
(2) TAVARD (CH.H), Le Livre des Armes et armures de L'antiquité au grand siècle, Milan-Italie, 1977.